المستوى: السنة الأولى الطور الثاني التخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث
المقياس: تاريخ موريتانيا الحديث / السداسي الثاني / 2019- 2020
الأستاذ : العايب معمر

المحاضرة الأولى

- تطور موريتانيا عبر التاريخ (التشكل السياسي والاجتماعي).

نستهل هذه المحاضرة في مقياس تاريخ موريتانيا الحديث بتناول موضوع التطور التاريخي للبلاد الموريتانية منذ عصور ما قبل التاريخ و إلى قيام دولة المرابطين بها ،مبرزين التحولات السياسية والاجتماعية التي طرأت على بلاد شنقيط

تقع موريتانيا[1] في منطقة شمال إفريقيا يحدها من الشمال الصحراء الغربية ومن الشمال الشرقي الجزائر ومن الشرق مالي،ومن الغرب المحيط الأطلسي ومن الجنوب السنغال ،وفلكيا تقع بين خطي طول 10 ° إلى 28° شرقاً وبين دائرتي عرض 15.52° إلى 18.15° شمالاً. تبلغ مساحتها 1.30700 كم² .

تشير البحوث التي أجراها بعض علماء ما قبل التاريخ أن منطقة موريتانيا شهدت نزوح لجماعات بشرية أثناء ازدهار الحضارة القفصية في العصر الحجري الجديد واستقروا في شمال موريتانيا وعرفت أيضا حضارات ما قبل التاريخ (الحضارة العتيرية، الحضارة القفصية التي انطلقت من تونس وتأثرت بحضارة وادي النيل وخلال هذه الحقبة التاريخية انتقل الإنسان الموريتاني من مرحلة الرعي وتربية المواشي الى مرحلة الزراعة ومنها الى عصر التجارة،في الوقت نفسه نزحت قبائل من إفريقيا السوداء اتجاه موريتانيا واستقرت في الجنوب منها،وصل الفينيقيون الى موريتانيا وأقاموا على سواحلها مراكز تجارية متعددة أشهرها ليكس وسماها الرومان فيما بعد ليكسوس وهي العراش حاليا واستمر النفوذ الفينيقي في المنطقة الى غاية انهزامهم أمام الرومان عام 146 ق م في الحروب البونيقية ،والسكان الأصليون لموريتانيا ينحدرون من قبائل صنهاجة ،التي استقرت في بداياتها في شمالي الصحراء الكبرى. وبعد وصول الإسلام، أصبحوا منتشرون أيضا في بلاد السودان و على ضفاف نهري السنغال والنيجر،وفي بداية القرن التاسع تشكلت مملكة قبلية من قبيلة مسوفة و لمتونة في ما يُعرف الآن بموريتانيا تحت نهر تلنتان826 م، التي كانت تسيطر على طريق التجارة لغربي الصحراء الكبرى كما حاربوا ملوك "ما كان يوصف ببلاد السودان[2] ،واستطاعت قبائل الصنهاجية تأسيس مملكة أودغست ،و هي حاضرة قديمة تعود الى العصر الصنهاجي الأول [3] .

---

[1] - أول من أطلق هذه التسمية هو الاستعماري كزافي كوبولاني وكانت موريتانيا تعرف قبل عهد الاحتلال الفرنسي ببلاد شنقيط التي بلهجة البربرية (عيون الخيل) ، وسميت بتسميات كثيرة على غرار صحراء الملثمين وبلاد لمتونة و أيضا بلاد البيضان نسبة الى القبائل العربية الهلالية الحسانية التي استوطنتها.

[2] - أنظرابن الاثير الكامل في التاريخ حوادث سنة 448 هـ وانظر ايضا بوبه بن محمد بن نافع واخرون،موريتانيا القديمة،جامعة نواكشط ،نواقشط 2000 .

[3] - ولد ايده ، المدن الاثرية في موريتانيا الوسيطة ،تونس دون تاريخ. يسمي حماه الله ولد السالم تاريخ موريتانيا في العصر الوسيط بالعصر الصنهاجي ويقسمه الى قسمين : العصر الصنهاجي الأول : ويبدأ من الفتح الإسلامي وينتهي الى قيام دولة المرابطين في القرن الخامس وفيه قامت دولة الملثمين اوداغست أم العصر الصنهاجي الثاني يبدأ بقيام دولة المرابطين وينتهي بسقوط مدينة تنبكتو عام 1591.للمزيد انظر: حماه الله ولد السالم :تاريخ بلاد شنكيتي من التاريخ القديم الى حرب الشربيه الكبرى.

ويطلق عليها كذلك أودغشت او **مملكة أوداغست الصنهاجية**،تقع في الحوض الغربي من موريتانيا، ورد ذكر أول نص تاريخي عن هذه المملكة عن طريق اليعقوبي، وذلك في الإشارة إلى أن أوداغست كانت عاصمة لبلاد أنبية- مصطلح يعني تحالف قبائل صنهاجة الصحراء- وكانت فترة ظهورها قد شهدت ميلاد ممالك ودول أخرى في أجزاء عدة من الصحراء الكبرى مثل إمارة سجلماسة وإمارة تاهرت و إمبراطورية غانا الوثنية،و كان النظام السياسي لمملكة أوداغست ملكي وراثي، حيث تعاقب عليها ثلاثون ملكاً من قبيلة لمتونة[4].

وعرفت قبائل صنهاجة بالملثمين تميزا لهم عن أبناء عمومتهم القاطنين في التخوم الشمالية للصحراء الكبرى ،ووصفهم البكري حيث قال :(...جميع قبائل الصحراء يلتزمون النقاب وهو فوق اللثام حتى لا تبدوا منه إلا محاجر العينين ولا يفارقون ذلك بأي حال من الأحوال ولا يميز رجل منهم وليه ولا حميه الا إذا تنقب وكذلك في المعارك اذا قتل منهم القتيل وزال قناعه لم يعلم من هو حتى يعاد عليه القناع ...)[5] ،أما عبد الرحمن ابن خلدون فقد كان أكثر دقة في التعريف بالقوم(صنهاجة) و ومجالاتهم بالرغم من تأخره في الزمان عن عهد أهل اللثام ودولتهم ولكنه وصفهم بما نصه :(...هذه الطبقة من صنهاجة هم الملثمون الموطنون بالقفروراء الرمال الصحراوية بالجنوب ،أبعدوا في المجالات هناك منذ دهور قبل الفتح ....فنزلوا من ريف الحبشة جوارا ،وصاروا ما بين بلاد البربر وبلاد السودان حجزا واتخذوا اللثام خطاما تمايزوا بشعاره بين الأمم....)[6].

ومن أشهر القبائل الصنهاجية التي استوطنت بالمجال االموريتاني نجد قبائل لمتونة ومسوفة وكدالة ،وكانت لمتونة تتمركز في الوسط مع اقترابهم من النطاق الجنوبي المحاذي لبلاد السودان قبل أن ينتقلوا في عهد الفتوحات المرابطية إلى جبل ادرار الذي أصبح يطلق عليه جبل لمتونة ،أما قبائل مسوفة فقد انتشروا حول المسلك المؤدي إلى سجلماسة ،أما كدالة فقد انزووا نحو الغرب مع طول الساحل الأطلسي محكمين سيطرتهم على مملحة اوليل التي كانت تمون السودان في بعض العهود [7] ،بعد تكتل هذه القبائل في اتحادات سياسية تأسست مملكة اوداغست السالفة الذكر،التي ازدهرت قبل عهد دولة المرابطين.

بعد انتشار أصداء الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا في الصحراء الصنهاجية ،لم تلبث هذه الاتحادات القبلية أن تعرضت لتأثير الفتح مباشرة ويرى ابن خلدون في هذا الشأن (أن جماعات لمتونة و مسوفة وكدالة لم تعتنق الإسلام الا بعد فترة وجيزة من دخول المسلمين إلى بلاد الأندلس أي في النصف الأول من القرن 2 الهجري / الثامن الميلادي [8].

وعليه يمكن القول أن الفاتحين بعد توطيدهم وجودهم في بلاد المغرب انطلقوا جنوبا نحو موريتانيا لمواصلة نشر الدعوة الإسلامية وقد أدرك حكام بلاد المغرب أهمية موريتانيا

---

[4]- حول تاريخ هذه المملكة انظر : اليعقوبي ، البلدان ..، ابن حوقل ،صورة الارض ... ، خليل النحوي ، بلاد شنقيط المنارة والرباط ،المنظمة العربية للتربية والعلوم ،تونس،1987 . وايضا الناني ولد الحسين ، صحراء الملثمين ، حماه الله ولد السالم الزنوج الموريتانيين بين التاريخ والسياسة ، وانظر ايضا فانا كير،كلوديت تكاوست ،بحوث حول اوداغست ،مجموعة اعمال ،نواكشط 1976. وانظر ايضا :
Divisse (jean) et Robert (Deuise)et (Serge) ;Tegdaoust I ;Recherches sur Aoudaghost . paris .A M G.1970

[5] - ابوعبيد البكري(المتوفى 487 هـ) ،المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ،دار الكتاب الإسلامي،د.ت،ص 170.

[6]- عبد الرحمن ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر،دار الفكر ،بيروت ،لبنان،1979 ،م،ج 6،ص 186.

[7] - ليفتسكي (تاديوز) ، دور الصحراء الكبرى و أهل الصحراء في العلاقات بين الشمال والجنوب : تاريخ افريقيا العام ج 3 ص ص345-346.

[8] - راجع ابن خلدون، المصدر السابق.

الإستراتيجية باعتبارها واقعة على طريق القوافل الممتد باتجاه بلاد السودان الغربي[9] أين توجد مدينة تمبكتو[10] الغنية بمناجم الذهب،في القرن الحادي عشر نشأت الدعوة المرابطية[11] في موريتانيا وهم فرع من القبائل الصنهاجية البربرية، تفقهوا في الإسلام وتوسعت جماعتهم واستولت شمالا على سجلماسة [12]و أغمات وبلاد السوس[13].

وتوسعت جنوبا عبر نهر السنغال في غرب إفريقيا،فاستولت على مملكة غانا[14] والتكرور[15] والديولا[16] والمادنغا ،وكان لحركة المرابطين الدور الكبير في تعميق المعتقد

---

[9]- السودان الغربي : اسم أطلقه الأوروبيون على منطقتي نهر السنغال والنيجر، بينما أطلق اسم سودان وادي النيل على المنطقة الواقعة جنوب مصر .أما بالنسبة للجغرافيين والمؤرخين والرحالة المسلمين، فقد كانت بلاد السودان تعني لهم منطقة أوسع بكثير، تمتد جنوب الصحراء الكبرى من المحيط الأطلسي إلى بلاد النوبى على نهر النيل حول تاريخ انتشار الاسلام ببلاد السودان الغربي راجع : Cuoq,Joseph. *Histoire de l'islamisation de l'Afrique de l'Ouest, des origines à la fin du XVIe siècle*
انظر الرابط: https://www.persee.fr/doc/cea_0008-0055_1985_num_25_100_1726_t1_0587_0000_1

[10] - تأسست "تين بكتو" وليست "تمبكتو" وهو الخطأ الشائع، في أوائل القرن الخامس الهجري الموافق لسنة 1080 ميلادية، ولذلك (أي تأسيسها) قصة، وهي أن الطوارق كانوا يعيشون أثناء موسم الأمطار في ربوع صحرائهم ويعودون في فترات الجفاف إلى المناطق الخصبة حول نهر النيجر الشهير، وهو ما دفعهم إلى اختيار موقع تينبكتو حذاء ثنية نهر النيجر، كمكان مناسب لتخزين احتياطي الغذاء. والموقع كانت تسكنه امرأة عجوز من الطوارق من قبيلة "ايمقّشرن" اسمها بتكو، وعليها سمى المكان بـ"تين" بمعنى (مكان) "بتكو". وقد ظلت تمبتكو في البداية عبارة عن مخيم للطوارق، ثم تحولت مع مرور الأيام إلى قرية، وظلت تنمو باضطراد إلى أن تحولت بفضل موقعها من ملتقى للطرق التجارية إلى مدينة يؤمها آلاف التجار والزوار؛ ووصل ذلك أوجه في بداية القرن الرابع عشر الميلادي، حيث انتزعت وبكل جدارة مكانة مدن كبيرة في ذلك العصر مثل" ولاتة " في موريتانيا و" برنو "في غانا، اللتان كانتا من أهم أسواق التجارة في الغرب الأفريقي آنذاك. انظر : https://www.marefa.org/ وانظر أيضا : *عبد الله عبد الرزاق إبراهيم ، دور تمبكتو الاقتصادي والجغرافي في التجارة الصحراوية ، المؤتمر الدولي : الإسلام في إفريقيا يومي 27-26 نوفمبر2006،جامعة إفريقيا العالمية، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ليبيا،وزارة الإرشاد والأوقاف ، الكتاب الثالث : الأوراق ص 139- 174. المقال متاح على الرابط : http://dspace.iua.edu.sd/bitstream/123456789/2316/1/%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%82%D8%A7%D9%84%206.pdf

[11] - يرجع أصل المرابطين إلى قبيلة لمتونة البربرية كما أن أصل التسمية يرجع إلى أتباع الحركة الإصلاحية التي أسسها عبد الله بن ياسين و الذي قاد حركة جهادية لنشر الدين و كان رجالها يلزمون الرباط بعد كل حملة من حملاتهم الجهادية، بدأت الحركة بنشر الدعوة في الجنوب -إنطلاقاً من موريتانيا -و أفلحوا في حمل بلاد غانه على الإسلام و من ثمة باقي مناطق الصحراء الغربية، في عهد يوسف بن تاشفين تم غزو المغرب و غرب الجزائر ثم بناء مدينة مراكش 1062 م،قاد عام 1086 م أولى حملاته في الأندلس و إنتصر على الأسبان في معركة الزلاقة الشهيرة. بين أعوام 1089-1094 م عاد يوسف بن تاشفين مرة أخرى إلى الأندلس و لكن هذه المرة للقضاء على ملوك الطوائف. في عهد علي بن يوسف (1106-1143) تعرض إلى هزائم على أيدي الأسبان في الأندلس ثم استولى الموحدون على مملكته في غرب إفريقية -منذ 1030 م- . إلى أن قضى هؤلاء على آخر الأمراء بعد استيلائهم على مراكش عام 1147 م.انظر : https://www.marefa.org/

[12] - تعتبر سجلماسة ثاني مدينة إسلامية تشيد بالمغرب الإسلامي بعد مدينة القيروان و هي عاصمة أول دولة في المغرب العربي تكون مستقلة عن الخلافة بالمشرق وهي إمارة بني مدرار الخارجية الصفرية خوارج مكناسة الصفرية. تذهب بعض المصادر التاريخية أن سجلماسة بنيت سنة 140هـ-757م في قلب واحة خصبة كانت عبارة عن مراعي يؤمها عدد من الرحل لتبادل منتوجاتهم في إطار موسم تجاري سنوي, وهو موقع استراتيجي بالنسبة لمختلف مناطق شمال أفريقيا وبلاد السودان الغربي من جهة والمشرق الإسلامي من جهة ثانية، وقد ساعدها ذلك الموقع على لعب دور ريادي ولمدة طويلة في تجارة القوافل و تنظيم شبكتها، الشيء الذي جعل اسم سجلماسة يرتبط في الكتابات العربية بتجارة الذهب.ونتيجة لذلك ازدهرت سجلماسة في مختلف نواحي الحياة, فمن الناحية السياسية بسطت سجلماسة نفوذها على عدة مناطق من بينها درعة، أغمات، أحواز فاس، قبل أن تصبح إقليماً متميزاً تابعاً لإمبراطوريات وممالك المغرب العربي المتلاحقة, و في المجال الاقتصادي فقد انتعشت الفلاحة بفضل نظام متطور للري وتطورت الصناعات بشكل ملحوظ ومن اهمها صناعة الفخار وازدهرت التجارة والتبادلات والقوافل التجارية ومن اهمها تجارة الذهب. في الميدان الاجتماعي ظلت سجلماسة تستقطب السكان الحضريين ليتحولوا بشكل تدريجي إلى سكان مدنيين دون التخلي عن الزراعة ولكن باضافة العديد من الحرف والصناعات إلى حياة السكان وبالتالي فان سجلماسة كانت تحتوي على خليط عرقي متنوع قلما نرى مثله في تلك الحقبة من الزمن.انظر :https://www.marefa.org/

[13] - هي منطقة جغرافية تقع جنوب المغرب الاقصى، تحده سلسلة جبال الأطلس الكبير من الشمال وسلسلة جبال الأطلس الصغير من الشرق والجنوب والمحيط الأطلسي من الغرب. سكانها من الشلوح و العرب، تمثل ربع مساحة المملكة

[14] - للمزيد حول مملكة غانا راجع مايلي: احمد الياس حسين ،الاسلام في غانا من خلال كتاب ابوعبيد الله البكري ،المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب ،مجلة دراسات افريقية ، العدد04 مارس 1989 ، ص 63 -75.

[15]- مملكة التكرور أو التكلورTukulor ، هو اسم لشعب كبير من القبائل الحامية أسس مملكة أفريقية قديمة جدا امتدت من غرب السودان إلى سواحل بحر الظلمات في أراض شاسعة تزيد عن مساحة الجزيرة العربية والعراق والشام معاً. ضمت تلك

السني الصحيح وتوحيد المجال الديني والثقافي والسياسي في موريتانيا وهنا يمكن الإشارة إلى الدور الذي لعبه المؤسس الروحي لدولة المرابطين عبد الله بن ياسين[17] وبلغت أوج توسعاتها في عهد يوسف بن تشفين[18] (1087-1106).

بعد انهيار دولة المرابطين تعاقب على حكم بلاد المغرب الموحدون ثم المرنيين و بعدهم الوطاسيين ثم الأشراف السعديين والعلويين ،ولم يكن شيئ يذكر للموريتانيين ،بحيث كانت في شبه عزلة عما يجري من احداث في منطقة المغرب العربي ،فأصبح أمراء القبائل يحكمون موريتانيا[19]،وكل أمير يحكم إمارته بشكل مستقل عن غيره،ويصف المؤرخ حماه الله ولد السالم الفترة الممتدة من سقوط دولة المرابطين إلى قدوم بني حسان إلى موريتانيا بالفترة الغامضة من تاريخ موريتانيا [20].

المملكة أرضي المناطق المعروفة اليوم سياسياً بموريتانيا والسنغال ومالي ونيجيريا والنيجر وتشاد وصولا إلى حدود دارفور في السودان الشرقي ويذهب بعض المؤرخين، خاصة العرب، إلى إن اسم تكرور هو اسم لمدينة على نهر السنغال الحالي وكانت عاصمة مملكة التكرور. انظر: https://www.marefa.org/

- من بين الكتابات التي تناولت هذه البلاد انظر : ادم عبد الله الالوري ،الاسلام في نيجيريا و الشيخ عثمان بن فوديو الفلاني،دار الكتاب المصري القاهرة ، دار الكتاب اللبناني بيروت 2014 ، المقال متاح على الرابط :

https://www.bibalex.org/Attachments/Publications/Files/20141123143800205 26_40.pdf

وانظر ايضا : عبد القادر زبادية ،حركة التعليم في تمبكتو في بلاد التكرورخلال القرن 16 م ،ودور الأوقاف في ازدهارها ،مجلة دعوة الحق ، العدد 230، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ،المملكة المغربية، جويلية /اوت 1983 ص ص 41-48.

[16] - حول هذه البلاد انظر: نور الدين شعباني ،الديولا ودورهم في نشر الإسلام في منطقة الغابات الإفريقية ،مجلة الحكمة للدراسات الافريقية المجلد 02 العدد 03 ، ص ص 08-27 . المقال متاح على الرابط:
https://www.asjp.cerist.dz/en/article/65473

[17] - استعان به يحيى بن إبراهيم الجدالي شيخ قبيلة جدالة بجنوب موريتانيا لإصلاح شئون الدين بين أهل قبيلته - كانوا يحلون الزنا حيث كان الرجل يستحلي زوجة جاره، وانتشر فيهم السرقة وضاعت بينهم الأمانة، وذلك كله رغم كونهم من المسلمين، فقام الشيخ يحيى بن إبراهيم الجدالي بالذهاب للحج عام 440 هـ وفي طريق عودته نزل بالقيروان وقابل كبير شيوخ المالكية في ذلك الوقت وهو أبا عمران الفاسي الذي أشار عليه بالشيخ عبد الله بن ياسين الذي وافق على الفور وترك خلفه ماله وأهله، ورحل عن المدينة الساحلية حيث الحضارة ورفاهية العيش متوجها مع الشيخ يحيى بن إبراهيم الجدالي إلى قلب الصحراء الموريتانية القاحلة،أقام في جداله اربع سنوات محاولا إصلاح الدين في نفوس الناس ولكن أبى أحد أن يتبعه أو يصلح معه عمله بل تكالب عليه أصحاب المصالح من كبار القبيلة حتى خيروا الشيخ يحيى بن إبراهيم الجدالي بطرده خارج القبيلة أو قتله، اضطر الشيخ عبد الله بن ياسين إلى الخروج بمفردة إلى الصحراء ولكنة أبى أن يعود إلى القيروان وإنما توجه إلى شمال السنغال حين أقام لنفسه خيمة (وفي اللغة حين تنصب خيمة خارج الحضر تسمى رباط) وجلس يترقب القوافل والفتيان الخارجون للصيد ليحدثهم في الدين. يقال أنه أول من أمن به كانوا خمسه من الفتية وقام كل منهم بهداية واحد أو إثنين وبمرور الزمن تكاثر أتباعه حتى بلغوا بعد 5 أعوام الفان من الشباب وكانوا يضربون لأنفسهم خياما حول خيمة شيخهم فسموا بالمرابطين (منشأ دولة المرابطين), وعرفوا فيما حولهم بحسن الجوار، و كانوا يعيشون من الصيد. ثم انضمت إليهم قبيلة لمتونة ثاني أكبر قبائل موريتانيا بعد جدالة وعلى رأسها شيخ القبيلة يحيى بن عمر اللمتوني و كان رجلا صالحا للمزيد انظر : https://www.marefa.org/

حول ظروف التحاق الشيخ عبدالله بن ياسين بالصحراء الموريتانية انظر: سلمان محمد سلمان البدراني ، امارة صنهاجة في ادوغست ،دراسة في أوضاعها السياسية ، مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية ،المجلد 20 ،العدد 08 ، 2013 المقال متاح على الرابط : https://www.iasj.net/iasj?func=fulltext&aId=79543

[18] - حول هذه الشخصية انظر:حامد محمد خليفة ، يوسف بن تاشفين موحد المغرب وقائد المرابطين،ومنقذ الاندلس من الصليبيين ، الطبعة الاولى، دار القلم ،دمشق،2003م،469 ص .

[19] - ليفتسكي تاديوز : المرجع السابق ، ص ص 345-346.

[20] - حول أحداث هذه الفترة راجع : حماه الله ولد السالم ، تاريخ موريتانيا قبل الاحتلال الفرنسي، دار الكتب العلمية،بيروت ،لبنان،2017 ،416ص.

الصور 01 خريطة موريتانيا

الصورة رقم 02 : المصدر حماه ولد السالم :موريتانيا قبل الاحتلال الفرنسي

توسعات دولة المرابطين

الصورة الثانية 03 : جغرافية بلاد السودان

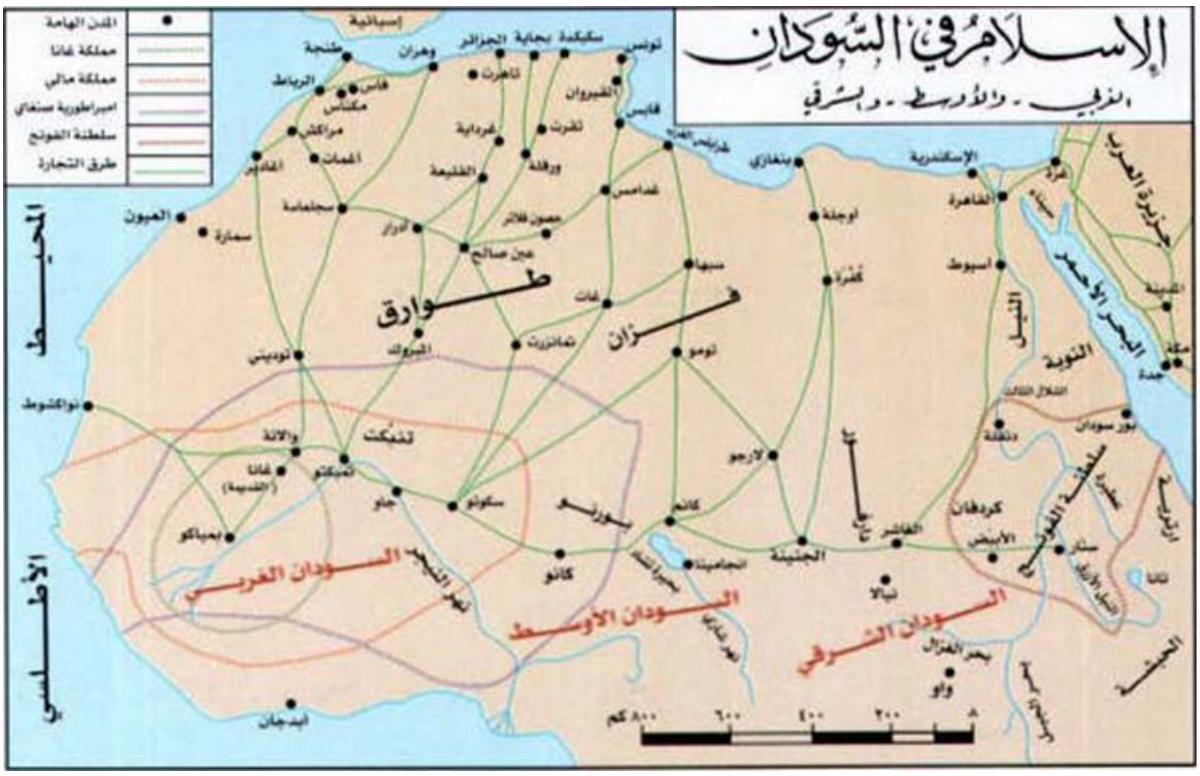

الصورة الثالثة 04: خريطة للممالك الافريقية القديمة

★ امبراطورية صنغاي الإسلامية، وكان ازدهارها أيام (أسكيا داوود)، ثم استعمرت فرنسة السودان الغربي متمثلة من السنغال. وكانت تمبكتو هي آخر العواصم التي سقطت في يد الفرنسيين، وكان ذلك عام ١٨٩٥م، وعينوا عليها، بعد تدميرها وتخريبها، حاكماً عسكرياً كُلّف بالقضاء على الثقافة الإسلامية واللغة العربية فيها. وكان ذلك - كما كان في الجزائر - محالاً. وحافظت تمبكتو على طابعها الإسلامي العربي ثقافياً وفكرياً وسياسياً حتى استقلت مالي عام ١٩٦١م، فاتخذتها حكومتها مركزاً لنشر الثقافة العربية الإسلامية.